

حكاية صغيرة

قصته بقلم مؤيد عمر

- ١ -

اسطورة كانت محوري ، صنعت ابعادها ، ثم تنالت علي مرثياتها ، ففبت عن كوني بما صار حدثي الوحيد .. حين يحب الفرد ، فكل مجاني في عالم المثال يبرره واقعه الكبير ، وجه قيمة نجرد نفسها لتحلل - في الكثير - بعض الحرم !

اذكر ان الثمن الذي طلبته الروح التي جيلتني في كومة انماطفة كان دموعا كثيرة ذرفتني وحدتي ، واعصابا - رغم تلفها - وترت من اليافها شدات ، واضمادات اندم في اعرافها كانت نصبي الذي يبر نفسه وهو بذوق في كل اسمية مع الحزن الكبير لذة البذل وروعة النيل ... لكن ما كان يصدى في ، عمق بذرة ناعسة في ذاتي ، ان الحب يمنح قيمته المحرومون ، وهل انا منهم ؟ لعلني واحد منهم واريد ان اتمرد على خذلانهم . واذن فلا حب عند من يعرف الراء !.. اما انا فساعرفها، وكان ان تهادى المرح ونيذا وجرس اينه امامته الاحلام الكافرة ... وحين كلمني البعض وابتسمت لي صور اقوال مضيئة لبعض معلمي الحياة من ان الاخلاص بلا قيمة الا ما تعطيه نسبة بين حدين ، كان ان كسرت صنمي وقلت : قد تخلص لواحدة ، لكنك تحب الكل !.. وكلهن سواء ، هكذا سمعت شخصية سينمية تحكي !

- ٢ -

قالت لي : اتبكي حبا مضيئا؟؟
قلت : وهل انا الا ترجيع بقوله كالفولا كاهو : « فد يبكي الرجال في الغالب لكثرة الفجح في الحياة » !!
لعل محدثتي تكلمت بعد ، لكنني كنت الود بصمت كبير .. وسحقنتي الذكرى ..

لحظة سريعة ، وكانت قامة واهنة ، انثى رغم كل قوامها تكلمني براءة وجهها ، ابتسامتها نغرها ، وبركة عينيه .. فابتسمت لها - وكنت اعبس بوجه كل فتاة ! - ولعلها ضحكت ! وغمزت فتاة تصاحبها .. اذكر يوما انني ارقصت كل اوتار قلبي ، وحين اغفيت ساعات الليل المورقة ، كانت هي كل حلمه !

✽

وكانت ايام طويلة ، ثم تتكرر الرؤية ، وانا الود بكبرياء الفنان ، هل كنت انتظر منها ان تقول لي : مؤيد ، احبك ، الان اقدر ان اقول : فكرت بهذا ..

وحين التقيتها نالثة ، كانت في سيارة عامة مديدة الطول ، وجلست المقعد الذي امامها ، اشعر الان ان انفاسها الحارة اللافحة رقبتي ، تستعيد كل نشوة حياتها .. ومرة بل مرتين - اذ ادت راسي الى الصورة المنعكسة ظلالها خلل زجاج النافذة - لمحت ابتسامتها وتساؤلها والاهم ، رأيت تميمة في صدرها ، صغيرة ... ومن ذلك الان اسميتها « تميمي » .. وحين هبطت كنت اريد ان اوهم نفسي بنجاحي في اشعارها انني لا اهتم بها ، بالاف منها اعني ! وهذه اللحظات ادرك كذب هذا النقول .. وقد اكون صورت من نشر حزني المكتوم في اغلفة كبرياء ، انها ستبكي كثيرا في ليلاها ، وما زلت اتساءل : هل كانت قد اقرت في ذهني حبيها لي ؟! لكنني كنت مراهقا رغم شبابي السذي ارتسمت في فوديه شعيرات بيضاء كثيرة .

✽

ونمر سنة ... وكانت هناك ، صحبة نساء وكواعب ، وظللت انا احدق في عينيه ، بل نقطة « تتلقى » محور هاتين الدرتين تيران رغم دعجهما الاسود ، وقلت : كلمها يا فتى .. ثم تباعدت منها رجلا وهي

تدخل وراء مرافقاتها محلا يبيع البسة نسوية ، وضلت دقائق بفانهم هناك تنظر الي بجلم عينين كل لحظة .. وسمعت بفوزي لكنها اختفت .. ونسيت فرحة اخرى !

✽

ووقت جديد ، وكنت قد انتميت الى الم اخر .. هبطت من سيارة قريب ، سارت اماما وكلها وراء ! وكيف هذا ؟ كنت في ناصية طريق انتظر حبا جديدا وقد اتعبني الانتظار ، ثم لمحت في الفتى القديم ، وكانت كل خطوة لها الى الامام رغبة في عشرة الى الوراء ، التي ، وكانت التفاتة راسها ، مرات ، ونظراتها الداعية ، لحنا جديدا ما زلت - وقد افترقنا بعد لقاء - اعزفه ...

- ٣ -

- مؤيد ! الا ترافقني لنستقل هذه السيارة القادمة ؟

- لا .. سأخذ الاتجاه الاخر ...

وكان طريقان امان ، كل يؤدي الى قصدي ، كم فضلت ان اتوحد واسلك الابد ؟؟ لعل هذه عقدة هذا الكلام وسره الذي تحله كالمات تتجملني .

.. وسارت بي السيارة خطى ونيذة ، وكانت هنتاك .. فسددت نظمت يا هذه ، انت انثى اشتيهك الان ، وابتسمت لها من عيني دعوة واسرعت خطوات تقفز درجتين ثم تكون ضمن الركاب الواقفين ... وجلست مكاني ، وسمعت صوتها لثاني مرة : - اشكرك - كانت الاولى يوم همست لواحدة معها : بعاميتها اللثفاء : سناء ! تدرين هذا الولد يجنبي ! وهبطنا معا ...

- يا انسة ، دقائق من وقتك لا كلمك ..

- عفوا ! فانت لا تعرفني ، ثم ما الذي تريد ؟

- سترى في هذا اذ نتحدث ..

.....

- انسلك هذا الدرب ، ام نخرج على عطفة ذلك ؟

- فلنسر في هذا القريب ؟؟

وما قلت ؟ اذكر انني استعدت كل الحائلة التي مرت بنا ، اذ كنت احيا حزن من لا يفكر بحب غيره ، فمن كره ذاته لا يجد في قلبه المسدود شرخا يلائمه حنان فتاة .. وقلت لها : احبك .. احبك كثيرا ولست اريد ان اخدعك بسيارة تضمنا في لقاءات الغرام ، ولا ازعج لك ثروة امتلكها ، فانا فقير ، كل ما اعدك به قلب سينبض لوحده .. قالت : ومن يدري انك تصدق ، قلت : التصديق لا يخضع لمنطق فقد يكذب مرة ويصدق قلب الاخر ، وقد يحكي كل الحقيقة ويكون اثره تكديبا يترى .. اسأل قلبك ، فان فسر لك كذبي المزعوم ، صدقا عرفت انك تحبيني ، قالت : اعرف انك كاذب ، لكنني اصدقك و ... وفالنتها وهي ترمي بكفيها العذليتين الى يدي مرة وصدرتي اخرى .. احبك ..

- ٤ -

وفي المساء فان لي لقاء مع فتاة اخرى .. وحين كنت امتص من شفيتها كل وثوقها ب « حبي » وارشف بدل ريق لسانها ، هذا اللسان كنت لأول مرة اشعر انني امثل في مسرح انا مخرج تمثيلته ، وحين صفعت الفتاة في ثنايا قبلة ، كنت اريد ان اصفع الضمير المعذب في صدري .. لكنها بكت ، فقلت : سامحيني .. وقبلتني !

- ٥ -

ومع الفد .. كنت ود القيت ضميرا يكره الشركة في القلب ،

كان يفعل ، اما انا فقد احب ، وحين يقول لي فرد رايتك مرتفقا انشى
اقول : خذك البصر يا هذا ! ذلك انني - كما في كل حياتي - اريد
ان احفظ لنفسني كل همسة صفاء ..

وخرجنا بمد في لقاءات مكرورة .. وكان من رأنا وهو يعرف اهلها
... وكان توتر في دارهم ، عرفت واقعه منها .. أخ لها - ربما -
حقر فضول هذا الدعي ، وهي بكت لتتفي الامر لهم .. فصدفوها حرجا
.. واقسمت بي وانا ارشف دمعات عينيها: مؤيد ان عرفت علاقتنا سأقول
لهم انه حبيبي ، حيك يرر لي حتى تحمل نتيجة كا .. لقتل !
- روعتك يا فتاتي ذابت لان الحياة لا تحتل المعاني البيضاء ..
ولم تأت في موعد لقائنا بمد يوم ، وجاءت بعد ايام ، كان كلام كثير:
- مؤيد .. سأمتنع عن رؤيتك ..

- ان كان لك عذر كنت معك ، الا فهو خديعة انزهك عن مثلها .. فانا
لا اريد ابداءك ، كرهت ان احقد على اعدائي . فكيف بمن احبه اكثر
من نفسي !

- عرف الآخرون عنا ...
- من يحب يضحي ويحتمل كل الاذى
- لا اقدر ان احكي .. اريد ان .. لم لا .. اعني
- قولها : لم لا تزوجني ..
- نعم .. لم ؟

- لانني اريد لزوجتي هداة في كنف رجلا ، يحبه مركز كبير ،
ليعرف كيف يمنحها من مرأشف حبه سعادة تؤمها من تحقد في فارس
ياتي يوما ليخطفها صاحبة الرؤيا .. اما ان تشاركيني مباسس الدنيا -
وانا ما زلت اريد ان اصنع لي وجودا هنا - فهذا ياسي فان ، شحوب
سيذوي وراء سراهبه كل هذا الحب .. فلو كان كما اردت لسرت معك
الان لاقول لايبك : احب ابنتك اريدها زوجة !
- اذن لنفترق ..

- هكذا ، وحتى بلا قبلة اخيرة .. ليكن .. اردت ان اعرفك تجربة
فقدتها علاقات المحبين ، قلبا يريدك لانك انت لا لانك الصورة العكسية
لمثال كان يعبه ، لكنك رفضت التجربة فما حيلتي ؟
وافترقنا واعين بعض الفتيات ترمقنا ، وسكت في قدسية الضياع
فحزنت من عينيها : وداعا !

*
كانت كلمتي الاخيرة : انسيني ، لا تذكرني ان واحدا بهذا الاسم ، هذه
الصفات دخل حياتك ، علمك معناها .. بل لاستدرك : ترى هل التقينا
اصلا !

- او يتسى المحب حياته ؟
- نعم ! لان الندم سيكون كفارة المذنب عن ذنبه .. والنسيان معنى
اخر اقدمه لك لتعرفي مبلغ حبي .. وحين اراك بعد سوف لن انظر
اليك ، واذا كنت في طريق سيرتي ، سأحاول خطاي الى اتجاه لا اعنيه ..
سأعترب عنك !
- اذن ! قد فقدنا ..

*
حسنا ساراك يا فتاتي الاولى ، وسأكون هذه المرة فتى صنعه الحب
تلك التي قالت : « خذني » ! جعلتني اذيف قبلا لك ، ورثيت لبراءة
نفض صدرك في راحتني ..
وهي محنة مرت .. انا الان احيا تجربة الامل لانني صنعت مسن
اكذوبة انتهت ، ثمن انقاذ ..

وحين ستطعمين قبلا سترين مذاقا اخر ، تعرفه كل حواء تحب
بقلبها في رجل تؤمن انه لها ، وستذكرين الايام الاولى وستفرحين للعودة
وانت لا تعرفين قصتي الصغيرة !

ساراك غدا ، وسأضفر من شماع عينيك احلام فجر وردي تحبه
النجوم !

مؤيد معمر

كانت الدنيا مطيرة .. وحل الشتاء الكئيب يملا اخاديد الطرق ، ومن
حنايا السماء اشباح شمس بلا امل ، وانا اداري اكدويتي الجديدة ..
وطرقت مع هذه الفتاة دروبا طينة ، وحذاؤها الاسود الصغير ازلقها
مرات ، وكانت تسندها ذراعي ، « وجورباها » الرقيقان تمزقا في
مواضع ، وحين اسفت ، قالت : ليلتنا هذه سأنزعه وانت ممي لتمزقه
بيديك وتاتي لي بغيره .. كلمة سخيقة تبدو الان لكنها في وقتها .
كانت اروع من عزف الرياح الشفوفة .. وفي الطريق ، منطف منه ،
كنت اعانقها بذراعي ، ينام حبها في صدري ، ارعى رجفة الشهوة في
اعطافها .. وحين قبلتها بحضور هبة نسيم قارسة ، كانت حرارتها
قد اسرت في بدل الرجفة رعشة يعرفها اهل الحب ..
قلت : مع الليل القادم ، انتظريني في داركم .. فانسلس لالاك
في خلوة .

قالت : احذر ان ترى ..

فقلت : سمعتك تهمني اكثر مما تعنيك ..

وهذه المرة كنت سعيدا بوهم صدفي !

وهناك كانت تشير الي ان ابتعد ، وفي اليوم التالي - وكنت
كظيم الحزن لهذا الخذلان - رايتها فاشحت ، استتفرتني وعرفت ان
النحس اراد ان تمتلىء دارهم تلك الساعة بزوار ! اخذتها الي داري
لكنني اكنيت بتقبلها .. واعرف الان اي روح نبيل كان يوجهني ، بل
قل انني كنت اريد الافتراق عنها لانقد مثال حبي الكبير الاول ، اردت
ان اضحي بامتلاء شهوة منها لاجل ان اكسب لحبي معنى الهيا في
قدارة دنيا البشر الداوي ! ام انني كنت لا اريد ان اميز البذرة القذرة
في ذاتها بفراق سريع بعد ان تحيا انثاي بظموح امالها ، بل احزان
موقونة ستاتي نتيجة لصدمة قلب امل ولم يجد غير جرح يفوز بهدية
مناومة !..

*

وهل كان لامثالي ان يشرك غيره في حل لهذه المشكلة .. لعله

في المكتبات

عاصفة على السكر

تأليف جان بول سارتر

ترجمة عايذة مطرجي ادريس

كتاب رائع يتحدث فيه الكاتب الفرنسي الكبير عن
الثورة الكوبية التي قادها فيديل كاسترو ، ويفصح
خطط الاستعمار الاميركي لخنق اقتصاديات كوبا ،
ويصف مختلف الاوضاع السياسية والاجتماعية التي
ادت الى نشوب هذه الثورة التي تعتبر من اروع الثورات
في تاريخ الشعوب .

كل ذلك بأسلوب تحليلي طريف وعميق امتاز به
جان بول سارتر ، وروح تحررية تجعل هذا الكاتب
العالمي في طليعة المفكرين الاحرار الذين عرفهم تاريخ
الفكر والسياسة

الثن 3 ل.ل.

منشورات دار الاداب